



اللبناني كمال قصار يطالب بالجهاد من أجل نظام تربوي موسيقي

الأربعاء 9 يونيو 2010 GMT 5:45:00

محمد الحمامصي

محمد الحمامصي من القاهرة: منذ أيام انتهى المؤتمر العلمي "قرن من التسجيلات - مواد للدراسة والانتقال"، والذي يأتي في إطار اتفاقية الحفاظ على التراث الثقافي التي وقعتها عام 2003 الدول الأعضاء في منظمة اليونسكو، ودرس استخدامات التسجيلات، بخاصة المنشورة منها، من زاوية كل من علم الموسيقى "دراسة الموسيقى"، وانتقال الميراث "لم تعد الموسيقى غير المكتوبة منذ قرن من الزمن تشكل موسيقى الحاضر الدائم الإثنولوجي"، والإثنوموسيقولوجية "دراسة استخدام التسجيلات". أقيم المؤتمر تحت رعاية معالي وزير التربية والتعليم العالي اللبناني د.حسن منبينه وبالتعاون بين الجامعة الأنطونية - المعهد العالي للموسيقى، المجمع العربي للموسيقى "جامعة الدول العربية"، جامعة باريس السوربون "باريس الرابعة"، المؤسسة للتوثيق والبحث في الموسيقى العربية، برنامج زكي ناصيف للموسيقى، كلية الآداب والعلوم - الجامعة الأميركية في بيروت. حول المؤتمر والموسيقى وحال الغناء العربي كان هذا اللقاء مع عاشق الموسيقى المحامي اللبناني كمال قصار رئيس مؤسسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربية التي تُعدّ أول مسعى حقيقي لصيانة التراث الموسيقي العربي.

** بداية نود نعرف لمفهومك للموسيقى الكلاسيكية العربية؟

** من خلال النظر إلي التاريخ الفني أرى مثل "اندري مالرو" ان هناك ما يسميه الأزمنة الخلاقة "les grandes époques créatrices" وأعطي أمثلة في موضوع الموسيقى: هل تعلمون مثلا أن جميع من وضعوا الموسيقى الروسية الكلاسيكية كانوا جميعهم أصدقاء يلتقون ليليا فيما بينهم. اللقاء بين السود والبيض في أميركا بعيدة إلغاء الرق خلق البلوز الذي ما زال حاضرا حتى اليوم وقد ألهم الروك اند رول و البوب ميوزيك الخ..

وإذ نلاحظ هذه الظواهر نجد أنها كانت قوت الأجيال اللاحقة لزمن طويل لا يراودها التجديد. أما في فيما يتعلق بالموسيقى العربية فقد وجدت حالة خاصة في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت الإمبراطورية العثمانية تحتضر وسميت الرجل المريض ولم تسحكنتم قبضة إنكلترا وفرنسا بشكل محكم بعد، ازدهر إنتاج موسيقي أصيل مبتكر خلاق ساعد في دعمه الخديوي آنذاك، فترعرع بشكل كبير، وفي بداية القرن العشرين تهافتت شركات طبع الاسطوانات على هذه الظاهرة فسجلتها ووزعتها بشكل غزير. ظلت هذه الظاهرة حية حتى بدايات الثلاثينات من القرن العشرين حيث عصفت الأزمة المالية بالعالم واشتدت



قبضة الانكليز والفرنسيين على مصر واقتحم الخلق اموسيقي حمي تقليد الغرب. نعرف بعد ذلك كيف ان النمط الاوروبي دمغ بشكل نهائي الخلق الموسيقي في ديارنا. ان فترة الإبداع الخاصة والأصيلة التي تحدثت عنها هي بنظري ما يمكن اعتباره موسيقانا الكلاسيكية. هذا لا يعني إننا ندعو للعودة الى الوراء إنما نحن نقول: كما أن الغربيين و الهنود و الإيرانيين يتمتعون بالموسيقى الحديثة التي يصنعونها فانهم بنفس الوقت يجدون المتسع للاستماع لموسيقاهم الكلاسيكية. هذا ما نحلم به.

** ما الأسباب التي دفعت بك إلى فكرة مؤتمر متخصص عن الموسيقى الكلاسيكية العربية؟

** كان موضوع هذا المؤتمر "مئة سنة من التسجيل مواد للدراسة والانتقال" وقد عقد للبحث في قيمة وآثار التسجيل الذي ابتداء حوالي 1903 في مصر وبلاد الشام. والسبب في انعقاده هو سبب علمي للوقوف على أهمية وآثار الكنوز المسجل منذ بدايته.

** ما طبيعة الأفكار والآراء التي يناقشها المؤتمر وهل تعتقد في أنها يمكن أن تجد آدانا منصتة في ظل هذا الضجيج الفاسد

الذي أتى الأذن العربية؟

** البحث العلمي لا ينتظر استثناء إيجابيا ليرضى بما آل إليه، بل أن له منطق هو خدمة المعرفة. الأفكار التي نوقشت كثيرة ومن بينها ذكر النقاش الذي دار حول دور التسجيل كوسيلة للتقليد حيث انبرى البعض للقول ان هذا التقليد لا يفيد إذ أن المهم هو في تعلم الموسيقى من خلال المعلم المرشد، في الحقيقة هذه قضية هامة تتعلق بشكل المعرفة ودور التقليد كمرجع وكذلك كمؤثر سلبي لعملية الإبداع.

**** وهل نحن بحاجة إلى مؤتمر كهذا في الوقت الذي نحن أحوج ما نكون مثلا لمؤتمر يواجه التردّي والانحطاط السائد الآن في الموسيقى العربية؟**

** مؤتمر يواجه التردّي والانحطاط لن يكون أكثر من مؤتمر هجائي لن يتعدى مشروع "قش الخلق". أما المؤتمر العلمي كالذي قمنا به فهو يندرج في سياق عملية التقييم والتحليل لكي نتمكن من معاينة ما بالاستطاعة فعله فيما يختص بالتربية الموسيقية والتوجه لمحبي الموسيقى ومنتجي الموسيقى. فالمعرفة لمكنون المشكلة هي بداية حلها.

**** هل أصبحت الموسيقى الكلاسيكية العربية تراثا؟**

** لا افهم معنى هذا السؤال إنما ما أستطيع قوله إن هذه الموسيقى الكلاسيكية هي ملك تاريخنا وصفحة خلاقة من ثقافتنا فلا مانع من أن تكون من مكونات تراثنا.

**** ألا ترى أن وراء هذا التدهور الذي آلت إليه الموسيقى العربية، الموسقيون أنفسهم، وتدني مستوى الكثيرين منهم؟**

** التدهور له أسباب كثيرة: أسلوب تعليم الموسيقى، تدني الثقافة الموسيقية، تدني الثقافة بشكل عام، عهر السوق التجاري الموسيقي، تحكّم الذوق المعولم بجمهور المستمعين الخ...

**** هل ترى أن هناك جهودا هنا أو هناك في بلداننا العربية للحفاظ على التراث الموسيقي العربي؟**

** هناك محاولات صغيرة للحفاظ على كنزنا الموسيقي المميز، يقوم بها أفراد عبر التأليف والأداء الموسيقي كمحاولة نداء أبو مراد ومحاولة مصطفى سعيد، و محاولة نشر التراث كمشروع بعض المنتديات الموسيقية على شبكة الإنترنت مثل موقع "زمان الوصول"، و موقع "سماعي". وأذكر أيضا مؤسسة التوثيق والبحث في الموسيقى العربية التي تقوم بأرشفة وحفظ ما أنتج منذ 1903 ونشره في أوسع وجه ليكون مرجعا ومثلا، ومبعث الهام كما هي الموسيقى الكلاسيكية الغربية التي الفت خلال حوالي 250 سنة، وما زلت منارة السماع و الإبداع في مجتمعات كثيرة في العالم.

**** ماذا عن حال الغناء العربي وكيف نحول بينه وبين مواصلته التردّي؟**

** التردّي يعالج ربما جزئيا، وأنا لست بنبي، من خلال التعليم الموسيقي الذي يخرج العازفين والمغنين والملحنين.

**** وما السبيل لمقاومة ما وصلت إليه الأغنية؟**

** السبيل لا يقوم بمحاربة الأغنية الرائجة فهذا غير ممكن، بل يجب خلق الخيار بتحفيز الحفلات الموسيقية الكلاسيكية، ونشر التسجيلات والجهاد لكي يقوم نظام تربوي موسيقي يحنو بأساليبه خذو الأسلاف الذين تعلموا وعلموا الموسيقى العربية وفق أصولها الخاصة، والخلاقة والتي أفرزت كبار مثل سامي الشوا و محمد القصبجي ورياض السنباطي على سبيل المثال لا الحصر.

<http://www.elaph.com/Web/Culture/2010/6/568484.html>

إغلاق النافذة